الذي سيحدث حين يظهر فيها فدائي واحد مثل سامي ؟ ولكن القاص لا يكتفي بالتقاط هذا الجانب من الواقع ، وانما يصور لنا ان الواقع الموضوعي اقوى بكثير من جوانبه الشاذة . فهؤلاء المذعورون الخائفون من انكشاف قصة سامي لا يلبثون ان يتباهوا — في السر والعلانية — باقربائهم الفدائيين .

قال حسن مهنا : — يا جماعة ، هل « الفتح » يتربون لنا ؟

وقال مصطفى : — قلنا للجدران آذان ..

فقال يوسف العبد الله بعد ان اقترب من حسن : — ان اخي علي في الاردن .

فأجابه : — وابن عمي حسن في سوريا .

وعلى هذا النحو استطاع محمد علي طه ان يمجر في حكاية بسيطة عادية كل جوانب الموضوع دون ان يقع في الحرفية او المباشرة .

فالحكاية — كلها — هي ان سلطات الاحتلال اشتبهت بسامي فاعتقلته ، ونشرت صورته في الصحف العبرية . وقامت الشرطة بتفتيش المنزل . وهذه الحركة تثير ردود الفعل في القرية ، هذه الردود يشحنها القاص بما يخدم فكرته الرامية لتجميد الثورة والمقاومة .

وتلى هذه القصة من حيث التركيز على موضوع المقاومة قصة المغروسون في الارض . وهي قريبة من تلك النماذج التي تشيع كثيرا في قصص كتاب الارض المحتلة ، واعني بها ذكريات المقاومة قبل عام ١٩٤٨ . ففيها صورة من صور المقاومة في تلك الحقبة ، مجموعة من الثوار تطاردهم غير مرة « فوجدوا انفسهم اخيرا في أرض المرج الغارقة بالمياه ، حيث لا يستطيع انسان ان يمر ، لكن حبهم للوطن كان عظيما ، لم يبالوا بالوحل ، الدورية وراءهم ، والوطن امامهم ، والوحل تحت اقدامهم ، وجدوا في السير ، لكنهم بعد خطوات كانوا مغروسين في الارض حتى صدورهم . هل نادوا ؟ هل استغاثوا ؟. من يدري ؟... لقد ماتوا مغروسين في الارض .. ومات ابي واقفا » .

والاصل في الحكاية هو ان ابن ابي النعاج متشوق لزيارة قبر والده الشهيد ، وهو لا يعرف مكان القبر ، وفي اي بلد هو ، ويكتشف بعد البحث والتحري ان الارض الفلسطينية الكاملة هي قبر والده الشهيد . وان الشوق الى زيارة الضريح هو شوق الى الالتحام بالارض الفلسطينية الكاملة ، المحررة .

لعله صار بالامكان الان ان يدرك القارىء ما مغزى المقدمة التي مهدنا بها لهذا التحليل « القيمي » للقصص . ومن ذلك امكن الاستنتاج ان القصص تشكل مجموعة من لحظات التجلي المضمون اللاصق بالتيار الفلسطيني القصصي ، وقد شاهدنا ان هذه اللحظات تأخذ شكل الذروة في القصص التي سبق ذكرها . ويمكن حصر اوجه هذا التجلي في النقاط التالية :

١ — الالحاح على الحس الطبقي في المضمون .

٢ — الفهم الواعي لمعنى الاحتلال . فقد لاحظنا كيف جعل محمد علي طه (كاتب منتظم في حزب راكاح المسلم بشرعية الوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية) قرية من قرى الجليل تهتز وتتفجر لان واحدا من ابنائها اصبح فدائيا . بل لاحظنا كيف التقط القاص صورة واقعية لما يمور في نفوس هذا الشعب الاسير من حب للثورة ، وانتماء اليها .

٣ — الالمام بجوانب القضية مجتمعة فقد حوت القصص على معالجة ذكية لمشكلة الاقلية العربية في الوقت الذي خاض فيه الكاتب غمار المعالجة لموضوع الثورة على الاحتلال والتطلع لتحرير فلسطين كاملة . الى جانب هذا وذاك عرفنا كيف تنبلج ذكرى ثورة ١٩٤٨ من خلال الحاضر الموضوعي . فكأنه باجتماع هذه الاقاليم يوحد القضية بأبعادها في الزمان والمكان . وفوق ذلك كله فان القصص الاخرى التي جنح فيها للرمز ، ووقع اثناءها في الغموض ، مست القضية من جانب اخر وهو جانب التآمر على فلسطين وشعبها عربيا ودوليا .

ومع ان الفصل — في الواقع — بين الشكل والمضمون في العمل الفني هو امر مرفوض ، انسجاما مع قواعد راسخة الجذور في الادب والفن ، فان الدارس المتعمق لا يستطيع عند تنزيل الحقائق الادبية في منزلة الحقائق الموضوعية ، الا ان يلجأ للتشريح . فتشريح العمل الادبي يقوم اساسا على عملية الفصل الاعتسافية هذه ، ثم